نهج حزب الشعب الجمهوري التركي تجاه الشرق الأوسط: من العزلة إلى البدائل الجديدة

مروة زورلو

عمل حزب الشعب الجمهوري الذي تولى السلطة إما بمفرده أو مع ائتلافات، على صياغة موقف تركيا تجاه التطورات في الشرق الأوسط. وبصفته الإرادة السياسية المؤسسة للجمهورية، كان ينظر إلى حزب الشعب الجمهوري الذي لعب دورا مهما في الشرق الأوسط في ذلك الوقت، على أنه يسعى للنأي بنفسه عن العلاقات الإقليمية مع مرور الوقت.

كان لحزب الشعب الجمهوري CHP الذي يواصل ممارسة السياسة باعتباره حزب المعارضة الرئيس في تركيا، تأثير كبير على التوجه نحو مناطق الشرق الأوسط لأنه كان على رأس السلطة أثناء تأسيس الجمهورية التركية. لكنه كان بعيدا عن تلك المناطق بشكل عام طوال القرن العشرين. حيث قام حزب الشعب الجمهوري الذي حاول إنشاء إطار هوية له مختلفة عن دول الشرق الأوسط مع مرور الوقت، بعزل تركيا عن القضايا المتعلقة بمناطق الشرق الأوسط. ولكن بعد قيام الثورات العربية في العام 2011 وتأثيرها على المنطقة بأسرها, اتضح أنه لا يمكن الاستمرار في هذا الوضع. ومع هذه الحقائق, بدأت تظهر في الأفق جهود حزب الشعب الجمهوري من أجل صياغة نهج جديد تجاه الشرق الأوسط. وظهرت هذه الجهود بشكل واضح في البيانات الانتخابية بعد عام 2011، وهو واضح أيضا في إطار مشروع منظمة السلام والتعاون في الشرق الأوسط الذي يطرحها حزب الشعب الجمهوري.

من فترة العزلة إلى الربيع العربي

عمل حزب الشعب الجمهوري الذي تولى السلطة إما بمفرده أو مع ائتلافات، على صياغة موقف تركيا تجاه التطورات في الشرق الأوسط. وبصفته الإرادة السياسية المؤسسة للجمهورية، كان ينظر إلى حزب الشعب الجمهوري الذي لعب دورا مهما في الشرق الأوسط في ذلك الوقت، على أنه يسعى للنأي بنفسه عن العلاقات الإقليمية مع مرور الوقت. وكان من أحد الأسباب الرئيسية لذلك يتعلق بمحاولة حزب الشعب الجمهوري لصياغة قيم ورموز هوية جديدة للبلاد. وفي الحقيقة، لم يتم تأسيس علاقات في مجالات مشتركة تتعلق بمجتمعات الشرق الأوسط في إطار رموز الهوية، خلال فترات طويلة. لأن حزب الشعب الجمهوري ابتعد عن دول الشرق الأوسط التي بدأت تبرز إلى

الواجهة بهوياتها العربية والإسلامية منذ بداية القرن العشرين بسبب نهج الهوية التي سعى لتأسيسها، كما أنه في إطار هويته الخاصة، صاغ هذا الحزب سياساته الخارجية في سياق القيم الغربية، مثل العلمانية. ورسم حزب الشعب الجمهوري لنفسه إطارا على أنه "يسار الوسط" ثم "اليسار الديمقراطي" لاسيما منذ الستينيات والسبعينيات من القرن الماضي، وأعطى الأولوية للتوجه نحو الغرب، وهذا أثر بشكل كبير فيما يتعلق بعدم توجه الحزب إلى الشرق الأوسط. وفي هذه المرحلة كان لبولنت أجاويد الذي برز كرئيس لحزب الشعب الجمهوري وكان شخصية نشطة في رسم سياسات الحزب، نظرة مختلفة تجاه منطقة الشرق الأوسط ودول العالم الثالث بشكل عام، وعمل على الحيلولة دون بناء علاقات مع هذه الدول.

وقبل التحوّل المذكور، كان من الواضح أن حزب الشعب الجمهوري لم يؤسس كحزب سياسي علاقة قوية مع قضايا الشرق الأوسط بعد ميثاق سعد آباد، الموقّع عام 1937 بين العراق وتركيا وإيران وأفغانستان. وكان السبب في انخراط الحزب في بعض العلاقات الشرق أوسطية في الفترة المذكورة هو كونه الحزب الحاكم في تلك الفترة. ولكن يمكن القول إن الحزب بدأ جهود تحول أكبر في عهد قيادة دنيز بايكال.

وفي العام 2010, بدأ يتضح أن حزب الشعب الجمهوري بقيادة كمال كيليتشدار أوغلو, بدأ العمل على إنشاء نهج مختلف تجاه الشرق الأوسط مقارنة بفترة العزلة. وأحد الأسباب الرئيسية لذلك هو الثورات العربية التي بدأت في عام 2011. لأن الانعكاسات الإقليمية للمرحلة كشفت حقيقة أنه لا يمكن عزل تركيا عن المنطقة. وفي هذا السياق, أكد كليتشدار أوغلو في عام 201، أن تركيا بحاجة إلى سياسات واقعية وجديدة في علاقاتها مع الشرق الأوسط. وكانت هذه المرة الأولى منذ فترة طويلة الذي يطرح فيها حزب الشعب الجمهوري رؤية ومشروع مدروسين بعناية تجاه منطقة الشرق الأوسط

وشمال إفريقيا. وأكد رئيس الحزب على "أخوّة الحقوق"، وأن علاقة الأخوّة هذه يجب أن تنعكس على السياسات والأنظمة القانونية في شمال إفريقيا والشرق الأوسط. لهذا السبب، اقترح أن يكون المثقفون في الشرق الأوسط فاعلين ووسطاء، وبالتالي تأسيس تعاون وثيق وشامل. ومن أجل أن يصبح هذا التعاون منهجيا، لفت الانتباه إلى مشروع المنظمة الذي اقترحه باسم "بيت الشرق الأوسط"، لكن كان هناك نقاشات حول شمولية المشروع بسبب كون الفاعلين الذين سيؤسسون للتعاون هم المثقفون والفنانون والأكاديميون.

ونظرا لأن الثورات العربية في المنطقة جعلت من الضروري لحزب الشعب الجمهوري أن يطرح رؤية للشرق الأوسط، فجاءت فكرة أخرى إضافة لتأسيس بيت الشرق الأوسط وهي فكرة منظمة التعاون في البحر الأسود. وقام كيليتشدار أوغلو في الفترة الأولى للثورات العربية بتنظيم اجتماع على مأدبة إفطار مع منسوبي وسائل الإعلام من دول الشرق الأوسط، مما وفر مساحة لحزب الشعب الجمهوري للتعبير عن المشاريع المذكورة أعلاه. ومن خلال هذا الاجتماع، يمكننا القول إن كيليتشدار أوغلو اتخذ خطوة نحو إنشاء هوية جديدة لحزب الشعب الجمهوري. حيث وصف القرن العشرين بفترة جعلتك تنسى علاقات القرابة مع دول الشرق الأوسط، واقترح التذكير بهذه العلاقات وإعادة تأسيس العلاقات من جديد في سنوات القرن الحادي والعشرين. ولكن على الرغم من التركيز على العلاقات التاريخية وجهود حزب الشعب الجمهوري لخلق توجه أكثر شمولا للشرق الأوسط، إلّا أننا رأينا أن الجهود المبذولة لإقامة علاقات كانت تتخذ بحذر شديد.

جهود التقارب مع الشرق الأوسط: مشروع منظمة السلام والتعاون في الشرق الأوسط

يمكن القول إن حزب الشعب الجمهوري أيّد مرحلة التحوّلات الديمقراطية التي نشأت مع الثورات العربية، وكان يعارض بشكل واضح التدخلات المباشرة أو الخارجية في هذه الثورات. ومن الواضح أن الخطوات التي تشير إلى أن حزب الشعب الجمهوري بدأ منذ عام 2011 في الابتعاد عن سياسة العزلة التي كان ينتهجها فيما يتعلق بقضايا الشرق الأوسط, كانت خطوات بسبب الواقع والظروف الراهنة في المنطقة في تلك الفترة. وبعد ذلك, رأينا أن حزب الشعب الجمهوري صاغ نهجه تجاه الشرق الأوسط في مرحلة أصبح فيها التمييز بين السياسة الداخلية والسياسة الخارجية لتركيا مسألة غير واضحة. حيث حاول حزب الشعب الجمهوري الذي أدرج أهداف سياسته الخارجية فيما يتعلق بالشرق الأوسط في بيانه الانتخابي لعام 2015، الكشف عن رغبته ورؤيته في اتخاذ خطوات ملموسة مع أول انتخابات عامة جرت بعد بداية الثورات العربية. وتبنى الحزب مقاربة "السلام في الوطن، السلام في العالم" كرؤية عامة للسياسة الخارجية، وأوضح أنه سيتبع سياسة خارجية منفتحة قائمة على القيم. وفي هذا السياق، ربط الحزب استمرار الاستقرار والسلام في المنطقة بتعزيز مفهوم الدولة القومية والهياكل العلمانية والمعاصرة والديمقراطية، وقد تم التأكيد على أن تركيا دولة نموذجية في الشرق الأوسط. وبالنسبة للصورة النموذجية، تم اقتراح دعم الالتزام بالقيم المعنية في كل من السياسة الداخلية والخارجية من خلال الإجراءات والأفعال. بالإضافة إلى ذلك، يتضح لنا من إجراءات الحزب أنه ليس طرفا في أي مجموعة في الصراعات العرقية والطائفية في الشرق الأوسط. وعلى الرغم من تعرض الجهود المبذولة للحفاظ على مسافة متساوية من الجميع إلى انتقادات أحيانا، إلا أنه يمكن أيضا تفسير ذلك على أنه انعكاس جزئي للممارسات التي كانت متبعة في فترة العزلة.

حاول الحزب من خلال البيان الانتخابي لعام 2018 تقديم خطط عمل أكثر شمولًا حول الشرق الأوسط. وبينما كان التعامل مع ملف الشرق الأوسط حتى ذلك العام ضمن نطاق أمن تركيا مع المشكلة الفلسطينية والصراعات العرقية والطائفية تحت ضغط العوامل وقتها, تم أيضا تضمين العوامل السياسية المحلية في هذه الديناميكيات من خلال مشروع منظمة السلام والتعاون في الشرق الأوسط في 2018. وبذلك اتضح أن مشاكل اللاجئين أضيفت إلى المخاوف الأمنية الناجمة عن التطورات في سوريا, وأن هناك مساعي لحل هذه المشاكل. وفي هذا السياق, سعى الحزب إلى حل العودة الآمنة للاجئين

السوريين في تركيا دون أن يصبحوا ضحايا، من خلال تبني رؤية الأمم المتحدة لإنهاء الحرب في سوريا. أما فيما يتعلق بالمشكلة الإسرائيلية الفلسطينية، فإن حزب الشعب الجمهوري واصل دعم المبادرات التي تركز على حل بين الدولتين، كما كان يتحرك حتى هذه الفترة. كما تم لفت الانتباه إلى حماية وحدة أراضي العراق، مع التأكيد على إقامة علاقات متساوية مع المجموعات التي يتألف منها العراق والوقوف معها على على نفس المسافة. بالإضافة إلى ذلك، كان من الواضح أن الحزب يتعامل مع العلاقات مع العراق في سياق أمن الطاقة التركي. أما من ناحية أخرى، فقد تم تقييم إيران ومصر في سياق إعادة تطوير التعاون من خلال التذكير بالعلاقات التاريخية الإيجابية. ومن أجل تحقيق كل هذه الأهداف، نرى أن الحزب ولاسيما رئيسه كيليتشدار أوغلو، قد سلّط الضوء منذ الانتخابات الرئاسية لعام 2018، على مشاريعه من أجل تأسيس منظمة السلام والتعاون في الشرق الأوسط.

تعتبر منظمة السلام والتعاون في الشرق الأوسط الذي تم تضمينها في بيان الدعوة للقرن الثاني الذي نشرها الحزب في عام 2020، المثال الأكثر وضوحا على جهود حزب الشعب الجمهوري لتعزيز سياسة خارجية قائمة على المنطقة القريبة. وتم تحديد الأعضاء المؤسسين لهذه المنظمة وهم إيران والعراق وسوريا وتركيا. أما الهدف من منظمة السلام والتعاون في الشرق الأوسط، فهو إرساء السلام والاستقرار والأمن في المنطقة على أساس التعاون المشترك.

وأهم دافع لهذه المنظمة الذي أعرب عنه الحزب، أن المشاريع السابقة التي كان هناك محاولات لتنفيذها في المنطقة ولكنها كانت مفروضة عليهم من أماكن مختلفة، لم تنجح في منطقة الشرق الأوسط حتى الآن. لهذا السبب، يتبنى الحزب فكرة أنه في حال كان هناك رغبة في تأسيس مشروع هنا، فيجب أن يكون الفاعلون المؤسسون من دول نفس المنطقة. وفي الوقت الذي يعتبر فيه الإرهاب وموجات الهجرة الجماعية من المشاكل الرئيسية في المنطقة، فإن تركيا هي الأكثر تضررا من هذه الأمور. وتم اعتبار أفغانستان وسوريا بأنهما الدولتان المصدرتان للهجرة فيما اعتبرت إيران والعراق دولتي عبور. ولهذا السبب، هناك أهمية للتعاون بين هذه الدول الأربع خلال مرحلة تأسيس منظمة السلام والتعاون في الشرق الأوسط. ومن هذا المنطلق فإن منظمة السلام والتعاون في الشرق الأوسط الذي لا تهدف لأن تصبح منظمة دفاعية أو أمنية، يمكن اعتبارها مساهمة في توفير منصة مناسبة من أجل إطلاق الحوار ومرحلة التعاون التي من شأنها أن تحتضن المشاكل الرئيسية في المنطقة والبلدان المتضررة من هذه المشاكل. بالإضافة إلى ذلك، فإن البلدان الأربعة المستهدفة لأن تكون أعضاء مؤسسة، تعتبر خطوات أولية لمنظمة السلام والتعاون في الشرق الأوسط. كما تهدف إلى إشراك دول أخرى من المنطقة في منظمة السلام والتعاون في الشرق الأوسط مع مرور الوقت، إضافة إلى الجهات الفاعلة العالمية الأخرى لاسيما الاتحاد الأوروبي، الذي تتأثر بالتطورات الجارية في الشرق الأوسط، وذلك من أجل تقديم الإسهامات في استقرار المنطقة. وبالتالي، يلفت الانتباه إلى ضرورة تناول منظمة السلام والتعاون في الشرق الأوسط على أنها ليس فقط آلية استقرار إقليمية ولكنها أيضا وسيلة استقرار عالمية.

وفي النتيجة، كان من الواضح بالنسبة لحزب الشعب الجمهوري أن عزل نفسه عن قضايا الشرق الأوسط جاء نتيجة للتطورات التي حدثت لكنها تعني تجاهل حقيقة المنطقة. وفي هذا السياق، فإن حزب الشعب الجمهوري أثناء سعيه لصياغة نهج جديد تجاه الشرق الأوسط، حاول طرح رؤية تركز على السلام وتبتعد عن التدخلات بشكل مباشر أو غير مباشر، وتدعم وحدة الأراضي والاستقلال السياسي لدول المنطقة، وتولي أهمية للمبادرات الرامية إلى زيادة الازدهار في المنطقة، وتؤكد على ترجيح الوسائل السياسية والدبلوماسية لحل النزاعات، وتعتبر التعاون والتواصل ضروريين لنشر القيم العالمية في المنطقة. لكن وجود حزب الشعب الجمهوري في المعارضة الرئيسية منذ فترة طويلة، حال دون تمكنه من التنسيق في إنتاج وتعزيز ممارسات السياسة الخارجية. ولهذا السبب، نرى أن هناك حاجة إلى ممارسات مستقرة على الأرض وداخل الحزب، حتى يتمكن من اتخاذ خطوات ملموسة من أجل تحقيق الأهداف في هذا الصدد. ■

* تم نشر هذه المقالة باللغة التركية في العدد 121 من مجلة تحليلات الشرق الأوسط التي تصدر عن مركز أورسام.

مروة زورلو: باحثة من تركيا، تدرس الدكتوراه في جامعة إزمير كاتب تشلبي.